Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الفصل الأول

## فنون النثر قبل الإسلام وخصائص كل فن

لا أشك فى أن العصر الجاهلى قد عرف النثر الأدبى باعتباره وسيلة من وسائل البيان ، ولا أشك كذلك فى أن ما عرفه الجاهليون من فنون النثر لم يكن على غرار ما عرفه غيرهم من الأمم ؛ إذ لكل أمة ما يناسبها من فنون المقال وفقا لدواعى القول عندها ؛ فلا يحق لنا أن نطلب فى الأدب العربى من فنون النثر ما نجده فى الأدب اليونانى أو الرومانى أو نحو ذلك .

أقرر ذلك على الرغم من آراء كثير من المستشرقين ومن تابعهم التى يزعمون فيها أن عرب الجاهلية لم يعرفوا النثر الفنى ؛ لأن عرب الجاهلية لو كانوا يجهلون النثر الفنى لما كان لتحديهم بالقرآن الكريم قيمة ؛ فالتحدى المعجز لا يكون عن فقر ، وإنما يكون عن مقدرة فى ذلك المجال . هذا إلى أن عرب الجاهلية لو كانوا غرباء عن النثر الفنى لما استطاعوا أن يتذوقوا البيان القرآنى ويحلوه المحل المؤثر فى نفوسهم ، فيكون سببا فى إسلام عمر بن الخطاب ، وعاملا من عوامل التشكك فى نفس الوليد بن المغيرة وضربائه من الجاهليين الذين وجدوا فى القرآن ما يدعوهم إلى التروى فى الحكم ، ومعاودة النظر ، لولا خوفهم من ثورة قومهم ، وحشيتهم من ضعف سلطانهم الموروث .

ولا أشك فى أن أكثر نثر هذا العصر لم يصلنا ، لعدم تسجيله فى كتاب يحفظه ، ولمضادفته بالقرآن الكريم واشتغال العرب به من أسلم منهم ومن لم يسلم ، مما كان له أبعد الأثر فى الانصراف عن أكثر نثرهم الموروث ، وضياعه بمرور الوقت وفقد من حفظوه .

كما لا أشك فى أن القليل الذى وصلنا من نثر هذا العصر يمكن أن يلقى الضوء على هذا الفن الأدبى عند الجاهليين ، على الرغم مما قد اعتراه من إضافات وتغيير فى بعض عباراته ، وتحريف فى بعض أصوله ؛ إذ هو - مع كل ذلك - يطلعنا على فنونه السائدة